مخطوطات ومطبوعات

كتاب اغاثة الأمة بكشف الغمة

لتقي الدين احمد بن علي المقريزي

قام على نشر هذا الكتاب ، محمد مصطفى زياده : أستاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وجمال الدين محمد الشيال : مدرس التاريخ بمدرسة العريش الابتدائية الاميرية ، والكتاب من القطع المتوسط ، يقع في ست وثمانين صفحة وهو تاريخ المجاعات والغلوات التي نزلت بمصر منذ أقدم العصور الى سنة ٨٠٨ ﻫ وهي السنة التي ألف فيها المقريزي كتابه .

وكان السبب في ذلك ان مجاعة متقطعة حدثت من سنة ٧٩٦ — ٨٠٨ ﻫ «فرأى ان يبين : ان ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ..»

والكتاب طريف في بابه ، غريب بحوادثه ، بليغ باسلوبه . يذكر لك الوقائع ، كاشفاً عن مقدماتها ، مبيناً عللها وأسبابها ، مقرراً لقواعدها ونتائجها .

نقل عن ابراهيم بن وصيف : ان اول غلاء وقع بمصر كان في زمن الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان — واسمه افروس بن مناوش الذي كان طوفان نوح في زمنه . ثم مضى المؤلف يذكر حوادث المجاعات منذ ذلك الزمن الى أيامه .

قال : وأول غلاء وقع بمصر في الاسلام كان سنة سبع وثمانين . والأمير يومئذ بمصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، من قبل ابيه . فتشاءم به الناس ، ولأنه أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بمصر .

ومن الأمور التي يعددها المؤلف في كثير من المجاعات ، طمع الطحانين والخبازين ، وضربهم بالسيوط (كأنها جمع سوط) وتشهيرهم من أجل ازدحام الناس على الخبز . فكان لا يباع الا مبلولاً وجشع التجار ، وتلاعبهم بالاسعار ، واثرائهم من أموال الشعب ودمائه .

وذكر الغلاء الذي وقع ايام المستنصر ، وكان أمده سبع سنين ... وأكلت الكلاب والقطاط . حتى قلت الكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير .. وأكل الناس بعضهم بعضاً . وتحرز الناس . فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم سَلَب وحبال فيها كلاليب ، فاذا مر بهم أحد القوها عليه ، ونشلوه في اسرع وقت وشرحوا لحمه واكلوه . ثم آل الأمر الى ان باع المستنصر كل ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره ، حتى باع حلية قبور آبائه . وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره . وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن : الجوع ! الجوع ! تُردن المسير الى العراق ، فتسقطن عند المصلى وتمتن جوعاً . وجاء الوزير يوماً على بغلته فأكلتها العامة . فشنق طائفة منهم ، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم .

وفي سنة ست وتسعين وخمس مئة في سلطنة العادل ابي بكر بن أيوب وقع غلاء ، وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً . والمرأة تأكل ولدها ..

ويقول : وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم . فكان الواحد من الباعة يستفيد في اليوم المئة والمئتين . ويصيب الأقل من السوقة ربحاً في اليوم ثلاثين درهماً . وكذلك كانت مكاسب ارباب الصنائع . واكتفوا بذلك طول الغلاء . واصيب جماعة كثيرة ممن ربح في الغلال — من الأمراء والجند وغيرهم — في مدة الغلاء ، اما في نفسه بآفة من الآفات ، او باتلاف ماله اتلاف الشنيع .

وفي الكتاب كثير من الفوائد التاريخية والاقتصادية ، كتحديد الأسعار وفرضها ، و (تقنين) المواد وتوزيعها ، الى غير ذلك من الأمور التي نشاهدها في يومنا هذا ، ويظنها بعضنا من أوضاع هذا العصر ، وهي في الحقيقة من أوضاع كل عصر ، في كل عصر .

عارف النكدي

نَحْلُ عِبَرِ النحل

لتقي الدين احمد بن علي المقريزي

نشر هذا الكتاب الأستاذ جمال الدين الشيال : مدرس التاريخ الاسلامي في كلية الآداب بجامعة فاروق .

والكتاب قيم مفيد . يقول فيه ناشره : « هو كتاب صغير لطيف طريف ، يعجب الكثيرين من القراء ، ففيه فصول مختلفة ، بعضها يتصل بعلم الحيوان ، وبعضها يتصل بعلم اللغة ، او الفقه ، او الحديث ، او الطب ، او النبات ، او الاقتصاد ، او التاريخ ، او الأدب » .

وقد « بدأ المقريزي كتابه بالحديث عن النحل من الناحية الحيوانية ، فتكلم عن اليعاسيب ، ووصفها ، وعن العامل من النحل والبطال ، ثم ذكر اسماء النحل في أدوار نموه المختلفة منذ تخلقه يرقة الى ان يصير نحلة ، ثم اسماءه وهو يطير جماعات : كالطرد ، والثَّول ، والعنقود والخَشْرَم .. ثم عرض بعد ذلك لألوانه واحجامه ، وصفاته الخلقية والخلقية . مستنبطاً من ذلك كله العظة لبني الانسان .. »

« وتحدث المقريزي عن بيوت النحل او خلاياه ، ما يوجد منها في الجبال ، او في السهول .. واسمائها اللغوية وهي كثيرة ... »

وقد اعتمد المقريزي في كتابه على كتاب « الحيوان » لأرسطو ، فذكره غير مرة ، وكذلك استند الى آراء ابن سينا . وتكلم عن العسل والشمع وخصائصهما ، وعلى ما يعرض للنحل من امراض وآفات .

والكتاب عامر بالفوائد ، لا يستغني عنه لغوي ولا أديب ، ولا مشتغل بالزراعة .